القصة الحادية عشر

الكابوس

بعد تناول وجبة دسمة تحتوي على ما لذا وطاب حتى كادت الأمعاء تنفجر من زيادة الحمولة التى لم يستطيع مختار أن يخففها من روعتها أبت اقدامه أن تطاوعة فى الحركة والسير قليلا حتى تنفرج اسارير الأمعاء وتستطيع القيام بوظيفتها استلقي على ظهرة وكرشه مرتفع يكاد يعانق السماء وغط فى نوم عميق .

وبينما هو كذلك أذا بشبح اسود له أعين نارية وأسنان بارزة كالمسامير يهجم عليه ويطبق على أنفاسة حتى كاد ان يختنق ويصرخ مختار جاهدا حتى كاد صوته يسمع له صدى كأزيز الطائرت طالبا أنقاذه من هذا الوحش الكاسر فى صورة شبح وهيهات ان يلبي أحد النداء فوجد نفسه لا يملك الحيلة والفرار من الشبح وكان لا بد أن يستسلم لرغباته مهما كانت وطاعة أمرة فى كل الأمور التى يكلفه بها وقال للشبح السود من أنت وماذا تريد مني ؟

بدأ فاه الوحش الكاسر ينفتح فبلغ شدقية المشرق المغر ب وكانت الحروف تخرج منه متبوعه بشرارة لهب تحرق الأخضر واليابس أمامها وقال فى صوت مزلزل آن الأوان يا مختار أن

نسترجع ما أخذته من طعام من أموال الفقراء وحقوق الناس بالباطل وأكل مال اليتيم وصاح مختار لم افعل لم أفعل لم افعل .

وبينما يكررها أذا بزوجته تحضر من المطبخ وهو يصيح لم أفعل لم افعل فقامت بإيقاظة من نومه واحضرت له بعض الماء ليشرب ويفيق من صراخة وجسده يرتعش ويرتجف مما رآه فى كابوسة اللعين .

بدأت زوجته تتحدث معه بعدما هدأ قليلا ماذا بك كنت تصرخ وتقول ماذا افعل قال لها لقد انقذتيني فقد رايت الوحش الأسود يقترب مني فجأه وهو يحدثنى عن بعض الأمور وقص عليها ما دار بينهما من حوار وماذا شاهد فقالت له ربما لأنك اكلت ونمت سريعا فما هى سوى لحظات بين أنتهائك من الأكل حتى شاهدتك تنام فقال لها ربما

انصرفت زوجته لتعد له مشروبا يتناوله وبقى مختار يتدبر فى كلمات هذا الوحش الكاسر وشرد بافكارة يسترجع تاريخه ويتذكر ما قام به فى بداية شبابه من الأستيلاء على الأرض المملوكه لعبدالغفار التى كانت مجاوره له وكيف كان يقوم بتحريك الحد الفاصل بينهما فى غسق الليل فى كل زراعة حتى اصبحت معظم الأرض تحت سطوته وعندما ضاق عبدالغفار زرعا من تصرفاته الحمقاء قرر ان بيع الأرض ووقف امام اى مشترى جديد حتى اخذها منه بأبخس الأثمان بحق الشفعة بإعتبارة ملاصقا له فى الأرض .

وكيف حجب أخته من الميراث الشرعي لها عندما توفى والدها فقد كان ينفق عليها بعد وفاة والدهم حتى تزوجت ومنع توريثها فى الأرض المملوكة لهما واكتفي فقط بنفقاته عليها ولم تملك حق الأعتراض فهى لا تريد أن تخسر اخيها الشقيق رغم احتياجها هى وزوجها للآنفاق على ابنائهم بسبب ظروفهم الأقتصادية الصعبة .

أحضرت زوجته له كوبا من العصير شرب منه حتى أرتوي وافاق من غفوته وقرر ان يذهب الى بيت شقيقته التى لم يراها منذ سنوات وما زالت بقايا الطعام فى بطنه تتحرك معه حتى اصبح يسير كالسلحفاه الى منزل شقيقته واثناء سيرة على الطريق نظر الى أرضة مترامية الأطراف على جانبي الطريق وشاهد شجرة الصفصاف العملاقة التى كانت بينه وبين أرض عبدالغفار وهز برأسه أسفا واكمل المسير حتى وصل الى احد محلات القرية الصغيرة واشترى من البائع بضعة كيلوجرامات من الفاكهة لشقيقته واولادها فقد مضى زمن طويل لم يقم بزيارتها فى منزلها ودفع الثمن وحمل الأكياس وظل يسير حتى وصل الى بيت شقيقته وصاح بصوت عال يا محمود وهو يقصد زوج شقيقته وطرق الباب وقامت شقيقته بفتح الباب وعندما شاهدته اصابتها حالة من الذهول فشقيقها مختار لم يقم بزيارتها منذ سنوات فى بيتها ونادرا ما كانت تراه عندما تذهب اليه فى الأعياد لتهنئة هى واولادها ولكنه لم يقم ابدا بزيارتها فى منزلها وافاقت من صدمتها عندما نظر لها مبتسما ماذا بك يا ابنة والدي هل سابقى على الباب وقامت بالهروع اليه واحتضنت اضلاعه قبل جسده ودموعها على وجنتاها من فرط

السعادة ودخل مختار المنزل وحضر اولاد اخته وقام بتقبيلهم واحتضانهم وسألها عن اخبارها واحوالها فحمدت ربها كثيرا وسألها عن محمود قالت انه لم يعد من العمل فهو يعمل الى وقت متأخر لزيادة النفقات والمصاريف وقامت باعداد الشاى وجلسوا يتحدثون سويا حتى قارب وقت المغرب وهم بتوديعها لكنها اقسمت برحمة والدها ان لا يتركها اليوم وان يبقي معهم حتى يحضر محمود ويتناولون سويا العشاء وبعد الحاح شديد من شقيقته لم يملك الأ الأستجابه لرغبتها وظل يتحدث مع اولاد اخته وقامت هى بالبحث عن افضل طيور المنزل وذبحتها اكراما لشقيقها مختار .

نظر مختار حوله فشاهد الأثاث المتواضع الموجود فى بيت شقيقته ورآي ان حالتهم صعبة نوعا ما وحز فى نفسه كثيرا تقصيرة فى السؤال عنها طيلة الأوقات الماضية .

حضر محمود الى المنزل بعد انتهاء عمله وهو شاحب الالوان وضعيف البنية خائر القوي وقام بالترحيب بشقيق زوجته ترحيبا استغربه مختار نفسه رغم تقصيرة الدائم فى السؤال عنه وعن زوجته وانتهت رقية من تجهيز الطعام واكلوا سويا ورأي كيف كانت تهتم به وبضيافته فهى تأخذ من امام اولادها وتعطيه حتى شبع وحمد الله وبعد انتهاء الطعام قامت بتجهيز الشاى وظل معهم فترة من الزمن يتسامرون ويتحدثون حتى اقتربت الساعه العاشرة مساءا وقام بتوديعهم واحتضنته شقيقته عند الذهاب مع الدموع وان يعدها بتكرار الزيارة ووعدها بزيارتها وانصرف .

وصل مختار الى المنزل بحالة داخليه فيها نوع من السعادة نوعا ما لما رآه من حفاوة استقبال شقيقته رقيه وزوجها وسألته زوجته عن سبب تأخيره فقال لها لقد اقسمت رقيه على ان اتناول معهم وجبة العشاء وبقينا نتحدث انا ومحمود حتى وجدت ان الوقت تأخر فصممت على الأنصراف .

شاهد مختار قنوات التلفزيون واثناء بحثه بين القنوات وقعت يده على احد القنوات كان فيها احد ائمة الأزهر يتحدث عن صلة الرحم وحق الأخوه واستغرب من المصادفه فهو منذ قليل كان فى بيت شقيقته بعد فترة زمنية بعيده وقال ربما هى رسائل من رب العالمين

شعر مختار بالنعاس وأتجه الى الى الفراش وبينما هو نائم اذا بذات الملامح النكراء لذاك الوحش الاسود تحضر له ويقترب منه ويقول بصوت صاخب يصيب الأذان بالصمم اما زلت لا تعلم ما فعلت

أما زلت ناكرا للحقوق لن اتركك وسأبقى ملازما لك حتى بعد خروج روحك من جسدك وما زال مختار يزمجر ويكاد ينفجر صدرة من شدة نبضات قلبه وهو يقول ابتعد عني ابتعد عني حتى افاق من النوم وهو جاف الحلق وترتعد كل فرائصه .

أدرك مختار من تكرار رؤية هذا الشبح الأسود ان هناك شئ مجهولا يحدث فهى ليست مصادفه وانتظر حتى بدأت اصوات الديوك فى القرية تعلن انبلاج وقت الفجر وارتفع الأذان فوق مئذنة المسجد

فقام بالنهوض من فراشة وتوضأ وقرر ان يصلى فى المسجد وكانت زوجته تنظر اليه باندهاش غريب فهى لم تره يوما حريصا على صلاة الفجر فى المسجد حتى بقية الصلوات ربما يصلى فقط الجمعه ومفرطأ فى اغلب الصلوات وبينما يسير مختار باتجاه المسجد كانت نسمات هواء الفجر تخترق اوصاله وتقوم بعملية احلال وتبديل لكل لحظات الغفلة التى كان يعيشها حتى وصل الى المسجد وقام بصلاة ركعتى تحية المسجد وسنة الفجر وقام امام المسجد برفع الأقامة وصلى بهم فريضة الفجر وقرأ فى الركعة الثانية بعد بسم الله الرحمن الرحيم يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦) **دمعت عيناه مع قراءة الأمام واخذ يردد فى نفسة أستغفر الله العظيم اللهم اغفر لى فقد ت حرمت شقيقتى من ميراثها وتابع مع الأمام الصلاة حتى أنتهى وقام بالتسليم وتبادل السلام مع المجاورين له وبقي يردد اذكار بعد الصلاة .**

قام أمام المسجد بالسلام عليه وشعر ان مختار الذى يجلس خلفه ليس مختار الذى يراه فى صلوات الجمعه وقال له ماذا بك يا مختار اراك بحال غير الحال التى كنت أشاهدك بها اخبرنى بالله عليك .

كان مختار بالفعل يرغب فى سرد ما حدث له منذ فى الفترة الأخيرة منذ ان رأى ذلك الوحش الكاسر فى الكابوس .

تنحنح الشيخ وقال له سبحان الله الرؤيا دوما تأتى على طهارة وقبل صلاة الفجر وهى حق حسب التفاسير ومفسرين الاحلام وربما يكون هذا الوحش الأسود هو عملك أراد الله ان يظهر لك فى مختلف الأوقات ليجعلك ترجع الى الصواب فى بعض الأمور التى أقترفتها فى حياتك فعليك بأستغلال الرساله التى وصلتك قبل فوات الأوان .

بقى مختار فى المسجد حتى يدأت خيوط الشمس الذهبية فى الظهور فوق الجبل القريب من المسجد وصلى ركعتي الضحي ثم اتجه الى منزلة وقامت زوجته بتجهيز الفطور مع ابنائة وقرر ان يحدث تغيير جذري فى حياته بالألتزام والتقرب من الله ورد الحقوق لأهلها .

ذهب مختار بعد تناول الأفطار الى الأستاذ عمر المحامي فى مكتبة الكائن فى المدينة واخذ معه عقود الأرض التى ورثها من والده وطلب منه ان يقوم بتحديد نصيب شقيقته فى الأرض والمنزل وتم فرز المستحق لها وذهب الى أحد سماسرة الأراضى الزراعية وسأل عن سعر الفدان وقام بأخراج نصيب شقيقته فى الأرض بما يقابله من المال وذهب الى منزله وأرسل أحد ابنائة الى منزل عمته رقيه وطلب منها الحضور الى والده فهو يرغب فى التحدث معها فى أمر هام .

أستجابت شقيقته على الفور وحضرت برفقة ابن اخيها وقام مختار بادخالها فى احد الغرف وطلب منها ان تسامحه عما فات وتغفر له تقصيرة معها وهضم حقها طيلة السنوات الماضية وطوال الحديث

كانت شقيقته رقية لا تبارح الدموع وجنتاها فهى تشعر بإن شئ غريب مجهول يحدث من تصرفات شقيقها بالأمس كان يزورها فى بيتها وهو الأمر الذى لم يفعله منذ سنوات واليوم يستدعيها ليطلب منها السماح على عدم أعطاها حقها الشرعي فى ميراث والدها وقالت له ماذا بك يا مختار ؟

قال لها اختى لقد فعلت اليوم كذا وكذا وميراثك حاليا قيمته كذا والأمر اليكي ان رغبتي فى أخذ مقابل الأرث مالا سيكون بسعر اليوم وان اردتي الأرض سأجعل احد المساحين يقوم بتحديد قطعة ارض لك قريبة من منزلك فقالت له هذه الأرض ورثناها من والدنا سأجعلها تحت يدك فأنت والدي بعد وفاة والدي واخرج لى قيمة محاصيلها اساهم بها فى بيت زوجي وعلى عيالى وصادف هذا الرآي ما يتمنى مختار سماعه من شقيقته وقام بأحضار العقود التى أحضرها من المحامي وحدد فيه نصيبها ورجع الحق لرقيه بعد غياب سنوات والسبب وحش كاسر فى صورة عمل يطارد مختار .

اصر مختار على شقيقته ان تحتفظ بتلك الأوراق وطلب من زوجته ان تحضر وتكون شاهده على ما قام به وسعدت زوجته بقراره برد حقوق شقيقته ولم تتمالك نفسها رقيه من السعاده وقامت على الفور بأحتضان شقيقها وهى تدعوا له بالصحة والعافية والسلامة .

حاول مختار الوصول الى عبدالغفار بشتى الطرق والوسائل دون ان يجد له طريقا فأهتدي بتفكيرة الى الذهاب الى احد كبار

القريه وقد كان تربطه صلة قرابه به من ناحية زوجته وتوجه الى السؤال عنه وابلغه بإن عبدالغفار قد توفاه الله منذ عشر سنوات وهاجر أبنائة الى بعض الدول الأوربية ولم يبقي منهم أحد فى مصر

أدرك مختار أنه لن يستطيع الوصول الى أبنائة وقام بتسعير قيمة الأرض واخرج فارق السعر وقام بشراء العديد من مبردات المياة وضعها فى الشوارع لكى يرتوي منها العابرون كصدقه جارية عن عبالغفار وقام بتجديد فرش المسجد حسب نصيحة الأمام وتغير حال مختار الى الفضل واصبح سعيد فى حياته لا منغصات ولا هموم ولا اشباح تطارده ولم يفارق المسجد فى كل الصلوات الخامس المفروضة .

فى أحد الأيام فؤجي مختار بشيخ المسجد يبلغه بإنه شاهد له رؤيا صالحه معناها ان ما قام به جعله ينجو بنفسه من المصير السئ وان الشبح الاسود الذى كان يطارده هو عمله السئ فحمد الله مختار على تلك النعمة التى ارسلها الله له قبل فوات الأوان ولولاها ما اعطي حق شقيقته ولا سدد دين جاره حتى بعد وفاته وهكذا دوما هى الرسائل من أدركها نجا وربح ومن تجاهلها ضاع وخسر .